



د. محمد علي حمد الله - سورية

بصراحة صادقة أقول:

ندبت لهذه المحاضرة في زيارتي الطبية للمملكة، فتذكرت تدريسي الجامعي فيها في ستينيات القرن الميلادي السابق، مع أن الذاكرة عليلّة الآن، ولم أجد في قعرها من أسماء طلاب كرام سابقين سوى القليل.

منهم د. عبد الله عسيلان، ود. الخنين ود. عبد الفتاح عبد الحفيظ... فواخجلي من الباقيين.

كما أذكر من الأساتذة الكرام: د. عبد القدوس أبو صالح، ود. عبد الله التركي، ود. محمد الصباغ، والفاضل المعروف عبد الرحمن الباني، وعاصم البيطار، وعبد الفتاح غندور، وعبد العزيز المسند، وعبد الرحمن الدخيل، ومناع القطان، والبرقاويين، وغيرهم.

اللهم ربي ارحمنا وارحمهم جميعا فوق الأرض، وتحت الأرض، ويوم العرض... يا كريم.

الاختيارات

في كتب الأدب العربي

محاضرة ألقاها باختصار شديد في مقر الرابطة بالرياض يوم الأربعاء ٢٦/١١/١٤٣١هـ الموافق ٢٠١٠/١١/٢٠م.



د. عبد القدوس أبو صالح ود. محمد علي حمد الله في مقر الرابطة بالرياض

أما - وقد نكصت بي عربة التاريخ إلى وراء فلا بد لي من اهتبال فرصة سنحت - وفي السنوح فتوح - لأقول، بل لأبوح بمشاعري مرددا:

شكرا للصديق عبد القدوس أبو صالح الزميل القديم الفاضل، على استضافتي هذه بينكم، وشكرا له على التكليف، ثم على تعديل عنوان موضوعي، من (المختارات) إلى (الاختيارات) أي الأعمال التي أنتجت تلك الكتب وغيرها، وشتان بين الاستمطار والمطر، وإن كان الأصل الثلاثي واحدا.

وإن أنس لا أنس أني إبان عمله للدكتوراه بتحقيق ديوان ذي الرمة، زرته في بيته هنا بالرياض عام ١٩٦٦ الميلادي فرأيت قطارا من (الطاوولات) بسطت عليها ١٥ مخطوطة لديوان ذي الرمة، جمعها من أنحاء العالم، ونضدها على تلك المناضد ليطوف حول قطارها، فيقرأ كل بيت من ذاك الديوان الضخم ١٥ مرة في ١٥ مخطوطة، ويسجل على أوراق بيده (فروق النسخ).. الله أكبر.. ماذا أرى ولسان العرب يرصد كل لفظ غريب بدوي ليتمكن من إدراك معاني الأبيات، وصورها البيانية، فشعرت والله كأن جمجمتي ستنفجر، وإلى أين يفر الرجل من جمجمته؟!

صورة تذكارية ما نسيتهما ولن.. أه والانفلات من أي رأي خارجي؟ وهل يختلف هذا الدافع أو الذوق الفردي بين مختار وآخر، حتى سماه النفسانيون: (الفروق الفردية) وبعد... أتجاوز هذه الصورة لأقول:

الكلمة المفتاحية في جلستنا اليوم هي (الاختيار): ما المراد به؟ وما نفعه؟ وكيف يتم؟ وما معاييرها؟ أي:

- في اختياراتنا الشعرية وغيرها؟
- في كتب الأمثال للميداني والعسكري والزمخشري وغيرهم؟
- في كتب الأدوات كالجنى الداني والأزهية ووصف المباني وغيرها؟
- في كتب الفروق للأصمعي والعسكري والبحراني وغيرهم؟
- في كتب المثلثات لابن مالك وقطرب والنسائي وغيرهم؟
- حتى كتب: الشواهد الكبرى وفرائد القلائد وجامع الشواهد ومعجم الشواهد...





فن الإلقاء

عبد الوارث عسر



عبد الوارث عسر

غير جسر معلق بين قلبين: قلب الشاعر وقلب عبد الوارث عسر، أعني الممثل؟ وهل نخطئ إذا قلنا: كل من الرجلين (الشاعر والممثل) تتحدد قدرته الفنية بالمقدار الذي يتركه بالآخرين، وإثارة إعجابهم هي المطلوبة.

عفوا قارئ الكرام، أردتها محاضرة أدبية بحسب الطلب، فجاءت نقدية أدبية فنية تحليلية، فهل الزيادة في الخير إلا خير..! لهذا أقول:

أورد كل من أبي تمام والبحتري أبياتا في الحماسة، ولم يطابق اختيار أحدهما الآخر، مع أن الفن واحد، والغرض واحد، والعصر واحد، فلماذا (كان الذي كان) من غياب التطابق بينهما في الشعر الحماسي؟

ترى هل تجنب البحتري ذلك متعمداً؟

ج: ممكن، دعوني أراحكم في الإجابة لأقول:

(القصة) ليست (قضية) - وإن تقاربنا في الصورة لا الصوت - لأن (القضية) قد تنتهي في ظل فقرة واحدة من قانون القضاء في المحاكم، بعنت محمول - في حين أن (قصة الاختيار) تحتاج إلى الفقرات (الاثنتي عشرة) التي نص عليها (عبد الوارث عسر) في (قبضة)

ما لم يحدده أحد قبله بمثل إصراره وصرامته؛ وذلك حين قال: الشعور العاطفي اثنا عشر نوعاً بالتحديد». وسردها في الخاتمة حتى قلت في نفسي: ليتني قرأته من الآخر إلى الأول حتى إن صارت كلمة (شعر): (رَعش). وما أحوج الشعر إلى الارتعاش والاهتزاز طرباً. أوليس الشعر من الشعور؟ كما قال ابن قتيبة؟ وهل ما بين الكلمتين

إذا قارنا بعضها ببعض نجد زيادة هنا ونقصاً هناك. ونرجح أن (الاختيار) فعل ذلك، وإلا فلماذا نسبوا أبياتا إلى مرجع مسمى عندهم، وأسقطوا أبياتا شواهد وهي في المرجع نفسه؟

وبعد... (التأليف) من (الألفة) والتألف) بين منازل الحي الثقافي، فكيف نسمح إذا بالتناظر والتجايف بين سكانها ثم نقول: ألف فلان أو فلانة.. ونحن نقص ما انطوى عليه الكتاب آخر المطاف! وما الحل إذا ترهل الكتاب فوجب (الاختيار) بترك هذا وإبقاء ذاك؟

الجواب: لا تختصروا قبل أن تتخيروا. وفهمكم كفاية.

وكأنني الآن أسمع من يقول: وماذا نفعل إذا بعدت الشقة وعظمت المشقة؟

- عندئذ أروي لكم قصة واقعة آملاً ألا أخرج بعيداً عن موضوعنا وهو (الاختيار).

أراد الممثل القدير (عبد الوارث عسر) أن يؤلف كتاباً مختصراً - مع الوضوح - في (فن الإلقاء المسرحي). والإلقاء المسرحي - كما تعلمون - فن الإنشاد الشعري. فأضاع الرجل زمناً طويلاً بين كتب علم النفس يقرأ فيها عن أساليب (التأثير) العاطفي في الآخرين، ولكنه أخيراً نجح وحدد

كتابه اللطيف (فن الإلقاء). وما أقرب صورة (قبضة) من صورتني (قضية) و(قصة) السابقتين!.

إذن.. المشابهة لا تعني المطابقة، ولا المقاربة أحيانا، فلا تكون ذريعة.

أما حتى الآن وصدقنا أن الأدب ظاهرة جذورها نفسية خاصة، يطببها - إذا مرضت: النقد الأدبي.

أجل.. (النقد)، ولن أقول (البلاغة) لأنني لست كمن ضاعوا بينهما، أو خلطوا دُبساً بلبين.

فالبلاغة تعلمنا أساليبها المشهورة.

والنقد يلاحق تلك الأساليب وغيرها ليتحقق من أداء واجبها معنى ولفظا.

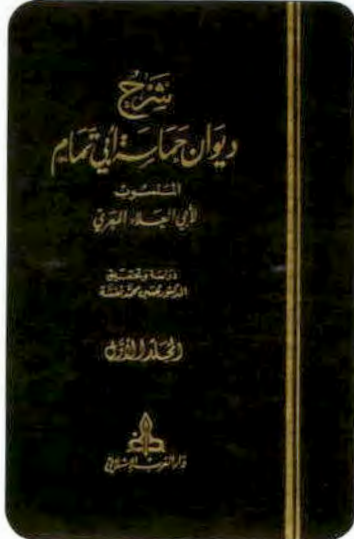
وبعبارة أخرى: البلاغة تحقق المأمول من النص معنى ولفظا. والنقد يتحرى ذلك المأمول؛ أترام تحقق أم خابت آمال الكاتب فيه؟

وبعبارة ثالثة: الفرق بين البلاغة والنقد الفرق بين (ما يحسن أن يكون) من جهة، و(ما هو كائن حقا) من جهة أخرى.

أولنقل: هما (المنطق والفلسفة) أو ك (علم النفس) و(التحليل النفسي).

هذا، وقد عزفت عن استهلال أمثلة تطبيقية للاختيار، أو للموفق

وغير الموفق، لأنه (الثقافة) و(النزعة الفردية في الأذواق) تحول دون اتفاق النقاد جميعا على حكم قضائي، بعضه بالريشة الخضراء اتفاقا، وبعضه بالريشة الحمراء تحظيرا، وفي هذا تذكير وتأكيد لما أسلفناه في التفريق بين النقد والبلاغة.



أما (القاسم المشترك) فلا ندعو إليه هنا لأن البلاغة سابقة، والنقد لاحق بالضرورة، وما كان لعربة أن تجر حصانها إلا إلى السوادي!!! إذن لا قاسم هنا ولا اشتراك.

وبعد: نرجع مرة أخرى إلى موضوع الاختيار لكي نقول: هل كانت (مدرسة عبيد الشعر) واحدة من ثمرات (الاختيار) الشعري؟ أنا أقول: هذا ممكن، ولكن إلى حد ما.

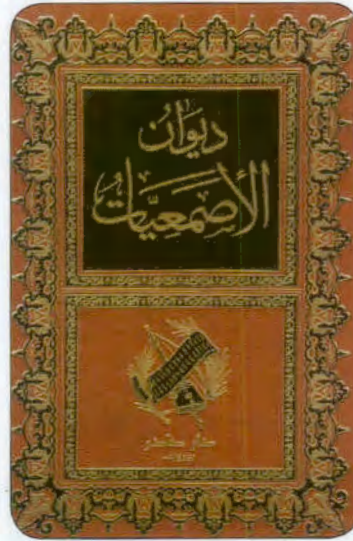
فيقول قائل: إذن: لماذا اقتصر القدماء ثم طه حسين على ذكر أربعة أو خمسة منهم فقط؟

أقول: الكمال لله، وليظهر من المدارس سادة أو عبيد: فليس في هذا ذم ولا مديح؛ إذ ليس للمشهد الشعري على مسرح الأدب، ولا لشعراء التنقيح في عصر من العصور أن يرتدوا - كالشرطة مثلا - لباسا موحدا، ولا يمكن لأي شاعر أن يكون شعره كله منقحا، واللوم هنا - في رأينا - موجه إلى (النقاد) الذين لم يتبعوا أخبار هذه المدرسة، بل سموا التنقيح (تكلفا وتصنعا) وأسبلوا الستارة!! وها هو ذا ابن رشيق يقول في (العمدة): الشعر ثلاث طبقات: (صنعة وتصنيع وتصنع)، وهي النظرية القديمة التي نال بها



ومعتقدا وقتونا وغير ذلك)، نسأل
الله حسن الاختيار في مطالبنا.
إذن.. الاختيار باق على قدم
وساق، سواء أكان من (الشعر
وأغراضه^(١)) أم من غيره وغيرها،
ومن العربية أم من غيرها، ومن
علم محدد أم من غيره، ومن عصر
محدد أم من زمن مفتوح... إلخ
«بداية الاختيار في الأدب

العربي:



نبدأ مع بداية الاختيار في الأدب
العربي لنقول:

غني عن البيان أن أقدم
الاختيارات الشعرية وأشهرها هي:
المعلقات - وهي بداية الاختيار
- ثم المفضليات، ثم الأصمعيات،
وجمهرة أشعار العرب، ومنتهى
الطلب، وهو كتاب كبير في ستة
أجزاء - جمعه ابن ميمون

شوقي ضيف درجة الدكتوراه بعد
تسعة قرون من ابن رشيق صاحب
النظرية المسروقة. وقبل الانتهاء
من حديثنا عن (مدرسة تنقيح
الشعر) و(اختيار) اللفظ والصورة
والبحر الشعري... إلخ، أذكر لهواة
(البحث والدراسة من بعدي)، أنني
أرشح لمدرسة التنقيح هذه أربعة
وثلاثين شاعرا قديما اعترفوا في
شعرهم نفسه أنهم نقحوا... وأسأل
الله أن يعين على نشر ذلك، ولو في
مقالة. ودعاء الناس نافع إن شاء الله
في (مئة وثمانية مشروعات) هي
عندي، ولكن العمر ثلاثة وثمانون.

**«(الاختيار) طريقة أو شكل من
التأليف:**

(الاختيار) طريقة أو شكل من
التأليف، له غاياته النافعة جدا
في ساحات كثيرة، حتى في ساحة
(الشعر ونقده). أي هو اختيار
في الشكل والمضمون الشعريين
معاً، وهو السابق الأقدم في اللغة
العربية. ولأنه الأقدم جاء معتمداً
على ثلاثة فقط: صوت الكلمة،
ووقعها، ومعناها.

ولكن المتقدم البشري العام
أوجد مع الزمن اختيارات أخرى:
كان يختار المؤلف (علماً)، لا فنا
شعرياً، أو (شريحة) من الناس
- ككتب التراجم - أو (جانبا)
من حياة الناس (تاريخاً وبلدانا

البغدادي.

وقلنا عن المعلقة: إنها بداية
تيارات الاختيار: لأن الذي في يقيننا
أن الموازنة بين معلقة زهير ومعلقة
طرفه مثلاً مطلب يعوزه المزيد من
العدالة والرضا، رغم ثبوت كونهما
من القصائد الأربع التي ثبت تعليقها
بأستار الكعبة كما جاء في خبر عن
عبد الملك بن مروان، وليستا محل
اختلاف في التعليق وعدمه كمعلقتي
النافعة وعنتره.

فإن قيل: إن الموازنة بين زهير
وطرفة صحيحة سائفة لأن كليهما
جاهلي كباقي المعلقة،

قلنا: أليس الموازنة بين الرمح
والسيف مثل ذلك العوز إلى العدالة
والرضا؟ سبحان الله... لا بد من
الاختلاف في كل مشابهة.

بعد ذلك. اتجه (الاختيار)
إلى (غرض) شعري معين هو
(الحماسة). وكان أبو تمام رائد
هذا النوع، وتبعه البحتري، ومن
بعده حماسات أخرى كحماسة ابن
المرزبان، والجراوي، والبياسي
العفري، وغيرهم.

أما (غرض الغزل) فمثاله
كتاب (الزهرة)، والغزل يذكر
بالنساء، والنساء يذكرني بكتاب
(المستطرف من أخبار الجوازي)
للسيوطي، وهو كتاب مختارات أيضاً،
لها عطرها الخاص، عند بعض

الخواص. لذلك نفر منه إلى كتاب (شاعرات العرب) وهو للمكتبة الأهلية بصيداء لبنان.

«توسيع دائرة الاختيار»

هنا، نوسع دائرة (الاختيار) لنقول:

نظر القدماء في حكم كلیلة ودمنة فأعجبتهن، فشققوا عباب الشعر العربي القديم، جمعا لما يضاهاى تلك الحكم - وكأنه رد على الشعبية - وصنعوا مما اختاروه من هذا وتلك، كتابا شعريا نادرا في بابيه، سموه (مضاهاة كلیلة ودمنة)، يضم البيت الشعري العربي، مقرونا بحكمة من (كلیلة) جاءت في معنى ذلك الشعر، فضلا عن أن بعض المتأخرين جدا نظم حكايات كلیلة ودمنة شعرا، ومن هؤلاء (عثمان جلال) الذي نشر سنة ١٩٠٨م: (نتائج الفطنة في نظم كلیلة ودمنة). فظهر بعده من نظم ألفاظا نثرية (مختارة).

وليتني - وأنا بعيد جدا عن مكتبتي بدمشق - أتذكر أمثلة لكل ما تقدم.

نقرأ ونقرأ ونقرأ.. ولا تغيب (صوى) الطريق الطويل (أي) اللافتات الكيلومترية) عن الأبصار.

أجل.. لقد طال حديثنا عن

(الاختيار) ولسوف يطول.. لماذا؟ لأن الشاعر يختار ثم ينظم، والمؤلف يختار ثم يكتب، فإن لم يحسنا الاختيار قلن يحسنا نظما ولا تألیفا. وعندئذ قد يستديران فيقرآن الصوى على الجانب العائد من الطريق فيصبح الكاتب كابتا، والشاعر راعشا... ولنا هنا سؤال: ما الذي قد يجعل اختياراتنا حسنة لانحسة؟



ج- الأسباب كثيرة. منها: الثقافة المختزنة عموديا - أي بعمق - وأفقيا - أي باتساع - إذ كلنا نعترف - على سبيل المثال - بثقافة الجاحظ، والثعالبي. وكلنا نعترف بثقافة ابن زيدون في رسالتيه الرائعتين، وكلنا حائرون بشأن العتّابي.. أشعره أعلى أم نثره؟ وهل اختيار تفاحة من

شجرة في الجنة، كاختيار تفاحة من شجرة ما، في قرية ما؟ (ضعف الطالب والمطلوب) فاهتزت عظام (الاختيار الصعب) في الحاليتين... وضعت وضاع الصواب مني، فقال بعض صحبي: (مّة.. فليس مع الصواب حيرة). فأجبت: (بل.. ليس مع الحيرة صواب)!

«أنواع الاختيار في التأليف»

وبعد: فمن أنواع (الاختيار) في التأليف أن يتناول الكتاب المؤلف عصر مؤلفه أو قطره أو الظرفين معا (زمانا ومكانا)، ويسقط ما هو غير ذلك. والمثال هنا يتيمة الدهر، وهو أشهر نظائره، لأن الثعالبي أوسعهم ثقافة وحسن اختيار مع خطة حميدة وأسلوب محبب ومضمون غني.

ومن الكتب الشبيهة به: الخريدة، والسلافة، والدمية... ومن مزايا هذه السلسلة: أنها ليست تراجم وأخبارا فحسب، بل فيها الكثير من الشعر والنثر مع تعليقات نقدية أحيانا.

هذا، ولا غضاضة - عندنا - أن نسمي هذه الفترة (فترة كتب شعراء العصر) أو سلسلة (شعراء العصر) رغم أنه في الوقت نفسه فترة (كتب الأمالي). مع ملاحظة أن الأمالي أميل إلى الجدّة العلمية الصادقة منها إلى (فنية الشعر) و(أدبية النثر).

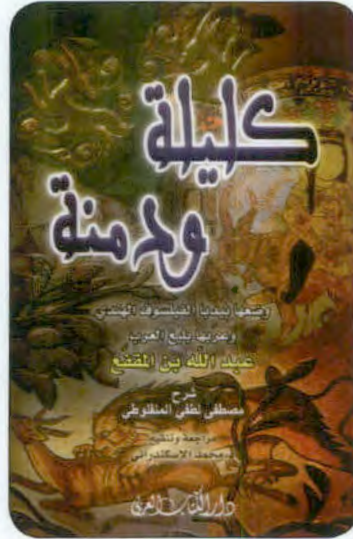


إلى (مفتاح السعادة) تأليف (طاش كبري زاده)، أو إلى فهارسه فقط. في هذا التوجه تطالعنا - فنطالعها - كتب تتحدث عن النخبة، عن ذوي النجابة والتفوق والفوز - رغم العوائق - عن نخبة كلنا نحتفي بأدبها وأدبائها نحو كتاب (الأذكياء) وما شاكله وهو كثير...

حتى كتاب (أنباء نجباء الأبناء) لابن ظفر الصقلي، رغم قلة نظائره، لأن علم التاريخ قل ما أفرد كتابا عن الناشئين، مع أنه عرج على ذكر طفولة بعض العظماء، ولكن في كتب الكبار.

هذا عن الذين تميزوا فامتازوا بصفات خلقية حميدة فيهم. أما الذين تميزوا عن غيرهم بنعوت خلقية لا ترفع ولا تخفض أحدا فهم أصحاب العاهات كالعميان والعوران والحوالان والأعشى والأعمش والأخافضة والأكشف والأفطح والأصلم والأشرم والأجدع والأشتر والخرسان والبرصان والسودان والأقطع ومقطوع اليد أو الرجل والعرجان (كالحجاج والزمخشري) والمفلوكين أي أصحاب الطالع التمس نحو (كتاب الفلاكة والمفلوكين وهو للدلجي). وما ذكرت هذه الأوصاف إلا لتشجيع شباب اليوم أن يؤلفوا لهم أو عنهم كتيبات. وأنا أعلم أن هذا العمل يقتضي منهم مطالعات طويلة. وكفى

وفي كلا النوعين من التأليف (اختيار). والناس في كلتا الحالتين (بالخيار)، وأنا بدوري اليوم (مختار) لكثير مما في هذا البحث الذي قدر الله له أن يولد في الغربية، ومن دون مراجع، مع أن البحث يقتضي أن يكون تطبيقيا ليصدق القول العمل.. لكن.. أين أنا من مكتبتي في دمشق؟ ولهذا أنا الآن مستميت للعذر منكم.



«كتب النخبة والنجابة»

بعد هذه الفينة القصيرة التي ذكرت فيها كتب السمر التي يغلب الترويح بها عن النفس، حقيق بنا أن نشير إلى نوع، أبطال أخباره عشاق لتراث الأمة يريدون أن يدللوا عليه أو على تنوع موضوعاته. وأستبق الأمور لأقول: من أراد هذا حقا فليرجع

من هذه الأمالي: أمالي القالي، والفارسي، والمرزوقي، والشجري، وابن الحاجب، والمرتضى... و(ابن ابن زيدون) ولم يطبع.

هذا، ووصفنا للأمالي - قبل أسطر - بغبلة الجدية عليها لا يمنع أن تكون أمالي القالي مثلا أغنى في الشعر واللغة. وأمالي ابن الحاجب أغنى في النحو القرآني. والمهم في هذا البحث أن كل أولئك قام على (الاختيار البارع) في جمع مادة الكتاب.

والآن... ماذا على الضفة الأخرى المقابلة لـ (كتب الأمالي) وجديتها؟ طرحنا السؤال فردت الأسمار وسامرها قائلة:

نحن هنا... نروح عن الأنفس سأمها وكلالها ساعة بعد ساعة، بعيدا عن الفحش والصفافة، وذلك في أشباه كتاب (مسامرة الندمان)، و(زهر الآداب)، و(ثمرات الأوراق)، و(فاكهة الخلفاء) لابن عربشاه، و(سُكردان السلطان) لابن أبي حجلة، ومعنى السكردان: (خزانة الشراب)!!

«ظاهرة أخرى في التأليف»

ظاهرة أخرى في التأليف أيضا هي أن القدماء أحيانا كانوا يؤلفون الكتب المطولة لكي يأتي بعدهم من يختصرها، أو يؤلفون (الكتب المختصرة) ليأتي بعدهم من يشرحها.

بالمطالعة مفيدا، فإن تهيؤوا ذلك
فالبديل هو العمل الجماعي في لجان
صغيرة.

أما بعد: فالعلوم لدى كل مثقف
ليست سواء في تعويلها (على الفهم)
أكثر، أو (على الحفظ) أكثر.

وقد عرف القدماء هذه الحقيقة،
وعرفوا أن (الوزن) الشعري و(وقعه)
في الأذن - رغم اختلاف بحر
عن بحر - يساعدان على الحفظ،
فنظموا أساسيات بعض العلوم
الدقيقة، ولاسيما الحفظية كأوزان
منتهى الجموع..

ثم ظهرت (الألفيات) نحو
وصرفا وغيرهما.

و(القراءات القرآنية)
كالشاطبية في الأندلس، و(مثلثات
العرب) اللغوية كما فعل قطرب،
وابن مالك في (الإعلام بمثلث
الكلام، والنعساني في (نيل الأدب
بمثلثات العرب) وهي الألفاظ التي
يختلف معناها باختلاف حركة
فائها أو عينها... فضلا عما في



مجموعة (مهمات المتون) في علوم
اللغة وعلوم أخرى...
وهذا أيضا ضرب من التأليف.
وفيه خير.

أخيرا: معذرة ثم معذرة عن
إطالتي في هذا البحث الذي ما كتبه
إلا لأسهل على باحثينا وكتابنا، ومؤلفينا
ومحاضرينا (مشقة الاختيار)
لما يبحثون فيه ويكتبون ويؤلفون
ويحاضرون.. عسى أن نتجو من تشابه
ما ينشر اليوم من الموضوعات.

أكرر فأقول: كتبت هذا البحث
المفتوح للجميع، وكلي أمل أن يفتح
به أكثر من فريق، وأذكر منهم هنا:
● فريقا يبحث عن موضوع
(جديد) يصنع منه بحثا لدبلوم
أو ماجستير أو دكتوراه دراسة
وتحقيقا.

● وفريقا عزم على تكوين مكتبة
منزلية.

● وفريقا يفكر باختيار كتاب
يهديه إلى عزيز.

● وناشرا يريد أن يسد فراغا في
الأنواع الأدبية واللغوية المطبوعة.

● ومحاضرا يحرص ألا يشد
الناس إلى ما سئموه.

(وعلى الله قصد السبيل)

ختاما:

أعلنت (رابطة الأدب الإسلامي
العالمية) أنها قررت منح صاحب
هذه المقالة - قبل تأليفها - لقب:
(عض وشرف) في الرابطة.

فقال: «هذا فضل لا يدانيه فضل
في عالم الأقلام» ■

هبة قلب

انتصار اليحيى - السعودية

وأصمت كي أُلْمَ شتات روحي
وأجمل أن يُحققني طموحي
وعند الله ما يشفي جروحي
وأطلق للعنان مدى النزوح
معين السعد في الأفق الفسيح

سأبحث في زوايا الكُنه عني
جميل أن أصوغ مسارَ عمرٍ
سأصبرُ إن بعد العسر يسرا
فخلص رَقَّ روحك من عقالٍ
ستبصرُ إن فررتَ إلى إلهي